

# المسحاة

مجلة

المجلد العسرون  
الجزء السادس والسابع



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET



وفي الحكمة من بناء ومن يؤت الحكمة قلبه  
غيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الابار

المسحاة  
١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الابار

﴿قل غلب الصلاة والسلام: ان الاسلام صدى و «منارا» كمنار الطريق﴾

٢٩ ربيع الآخر ١٣٣٦ — ٢٢ الدلو (ش ٢) ١٢٩٦ هـ ١١ فبراير ١٩١٨

## فَتَحْنَا فِي الْمَلِكِ الْمَلِكِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله ( وظيفته ) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدما متأخرا لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه . وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

تابع لما في الجزء الخامس

﴿ ملخص ما تقدم من الاحاديث والآثار وأقوال العلماء في شرحها وفقها ﴾

أما الاحاديث فتلخص في سبع مسائل

- ( ١ ) ان المصورين يمدحون يوم القيامة ويكلفون إحياء ما صنعوا تمجيزا ووصفهم بالظلم الشديد اقصد هم مضاهاة خلق الله
- ( ٢ ) لعن المصور كما لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال فيهم انهم كانوا بصوريون الصالحين منهم ويصومونها في معاندتهم ووصفهم بأنهم شر الخلق
- ( ٣ ) انكار نصب الستور التي فيها الصور والتماثيل وهتكها أي ازالها
- ( ٤ ) تحليل الانكار تارة بأننا لم نؤمر بكسوة الحجر والطين وتارة بكونها في المصلى تعرض للمصلي في صلاته وتارة بعدم دخول الملائكة بيتا فيه صورة أو كلب
- ( ٥ ) اتخاذ الثياب التي فيها الصور وسائل ورافق واستعمال البي ( ص ) لها مع بقاء الصورة فيها كما صرح به في رواية الامام أحمد
- ( ٦ ) ان تغيير الصورة الحيوانية لما نصبر به اسمه بالشجر كقطع رأسها يبيح اتخاذها . وفي معناه فتوى ابن عباس للمصور العراقي
- ( ٧ ) نقض اتصاليب وإزالتها

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين في المسألة (فمنها) استعمال زيد بن خالد الصحابي للستر الذي فيه الصور وهو أحد رواة حديث «ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة الا رقما في ثوب» فهو لم يشترط ان يكون الثوب الذي فيه الصورة مهانا (ومنها) اتخاذ أحد أعظم أئمة التابعين القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) الحجلة التي فيها تصاوير القديس والعنقاء، وهو ربيب عمته عائشة الصديقة وأعلم الناس بحديثها وفقهها وقد روى عنها حديث الثمرة

(ومنها) استعمال يسار بن نعيم مولى عمر بن الخطاب (رض) وخازنه الصور في داره. وقد روى عن عمر وغيره وهو من الثقات كما قال ابن سعد وابن حبان (ومنها) صنع الصور في دار مروان بن الحكم أو سعيد ابن العاص وكل منهما ولي إمارة المدينة وكانا من التابعين روى الشيخان عن الاول ومسلم عن الثاني وهو خير من الاول. وقد انتقد على البخاري روايته عن مروان وأجابوا عنه بأنه ثقة في الحديث وإنما ذنبه عملية سببها السياسة أعاذنا الله من شرها وشر أهلها. وعمل مروان لا قيمة له في الاحتجاج الا أنه يدل على أن التصوير كان مستعملا في عصر الصحابة ولكن أبا هريرة أنكر ما رآه في داره وكان من أعلم الصحابة بأحداث بني أمية وأخبر بمضها قبل وقوعها. وكذلك أنكر ابن عباس على المصور العراقي تصويره للحيوان وافتاه بتصوير النبات

وأما أقوال العلماء في شرحها وفقهها فمنهم من شدد فيه ومن خفف، وأشهر المشددين من محققى الفقهاء في القرون الوسطى أبو بكر ابن العربي والنووي فقد جزما بتحريم التصوير مطلقا وإن كان الاصل ان ماحل اتخاذه واستعماله حل صنعه وقال الاول: ان ما له ظل كالتماثيل ذات الاجسام يحرم اتخاذه بالاجماع، وبين الحافظ ابن حجر ان حكاية الاجماع غير صحيحة لتصریح الجمهور بحل لعب البنات اصحة الحديث بذلك، ونقل عن القرطبي حكاية قولين فيما لا يتخذ للابقاء كتماثيل الفخار وجعل إلحاق ما يصنع من الحلوى بالفخار ولبعب البنات محل تأمل. وأقول ان تماثيل الحلوى التي تصنع بمصر في أيام الموالد أقل بقاء مما يصنع من الفخار لانها لا تلبث أن تؤكل وهي تؤخذ للاطفال كلعب البنات فالقول بحلها أظهر من



القول بحل ما يتخذ من الفخار ، وأما ما لا ظل له من الصور فخيا في اتخاذه أربعة أقوال : ١ الجواز مطلقا ٢ المنع مطلقا ٣ تحريم ما كانت الصورة فيه تامة وجواز ما قطع رأسها أو تفرقت أجزاؤها ٤ جواز ما يمتن دون كان معظما كالمعلق . وقد رجحنا الثالث ورجح الحافظ ابن حجر الرابع .

وقد علم من هذا التفصيل كلام المخففين بالاجمال . ومن التفصيل فيه قول الحافظ : مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان معلقا الا ان يكون على جدار ، ومذهب القاسم بن محمد بن أبي بكر ( رض ) ان ما لا ظل له لا بأس باتخاذه مطلقا فقد صح انه كان في بيته بمكة حجلة فيها تصاوير كما تقدم ، ومنه حل أبي علي الفارسي الوعيد بمذاب المصورين على المشبهة الذين يعتقدون ان الله تعالى صوره كصور خلقه تعالى عن ذلك ، وجعل الحافظ ابن حبان حديث امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة خاصا بالنبي (ص) وجعل بعضهم إياه خاصا بملائكة الوحي ومقتضاها انه انقطع ، وجعله الكثيرون خاصا بملائكة الرحمة ، وخصصه بعضهم بالصفة كما تقدم في ص ٢٢٩ ومنتهى التخفيف قول بعضهم ان الوعيد على تحريم التصوير خاص بمن كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاثان وأما الآن فلا . ورده ابن دقيق العيد كما قال الحافظ في الفتح

والتحقيق ان الاصل في الوعيد على التصوير قسمان أحدهما لا يتحقق الا بالقصد وهو مضاهاة خلق الله كما تقدم في الكلام على الحديث . وثانيهما لا يشترط فيه قصد علة الحضرة وهو كما يؤخذ من حديث كنيسة الحبشة ومما صرح به المحققون من المتقدمين والمتأخرين في شرحه وشرح غيره هو سد ذريعة عبادة صور الانبياء والصالحين وغيرهم ومثله الوعيد على بناء المساجد على القبور لافرق بينهما البتة . فيأتي فيه ما قاله الحافظ في شرح الحديث من (باب بناء المسجد على القبر) من صحيح البخاري وهو كما في آخر ص ٢٣٥ من جزء المنار لماضي : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية أن يضم بالقبر ما صنع أولئك الذين لعنوا . وأما اذا آمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اه

ويمكن أن يقال ان سد الذرائع يختلف باختلاف الازمنة وباختلاف أنواع الصور

[ المنار: ج ٦ م ٢٠ ] حكم صور الصالحين وقبورهم واحد ٢٧٣

ولما كانت التماثيل والصور المعظمة في الجاهلية تعظيم العبادة هي صور ذات الانفس اذن ابن عباس (رض) للمصور الذي استغناه بتصوير الشجر وما لانفس له . ولما صارت صور ذات الانفس مجرد الزينة وزالت مظنة العبادة اتخذ بعض أئمة السلف بعض الصور في بيوتهم كاترك الصحابة الصور في ابوان كسرى . ولا نقول ان ذريعة تعظيم الصور تعظيم ديانة وعبادة قد زال في هذا الزمن وان علة التحريم انتفت كما قال من جعل التحريم كالمفسوخ لجعله خاصا بالعصر الاول ، اذ لا شك في ان تصوير الانبياء والاولياء وكل من يغلو في تعظيمه العوام أو اتخذ تماثيل لهم قد يفضي الى العبادة . كما رأينا نظير ذلك في تعظيم قبور الصالحين الذي جاء مصداقا للحديث الصحيحين « لتبمن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » الخ ولكن الناس شددوا في سد ذريعة عبادة الصالحين بتعظيم صورهم وتساهاوا في سد ذريعة عبادتهم بتعظيم قبورهم ببناء المساجد عليها والطواف بها والتماس جلب النفع ودفع الضرر بالتمسح بها ودعاء من دفن فيها . ومن تأمل الاحاديث وآثار السلف في مسألة تشييد القبور وتجهيزها وحظر اتخاذها مساجد ووضع السرج والستور عليها ، ومسألة التصوير واتخاذ الصور بمجملها في البيوت والستور ونحوها - يتجلى له ان علة النهي عن الامرين واحدة ، ألا انها في القبور أشد وأعم ؛ وقد جمع الامر بازاتهما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي : ألا أبغضك على ما بغضني عليه رسول الله (ص) « أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته » وفي رواية : أن لا أدع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته « بإسناد الافعال الى ضمير المتكلم أي بغضني على أن لا أدع الخ . وطمس التمثال نحو صورته التي يشبه بها الحي ، ويحصل بتشويهه أو قطع رأسه دون ازالة عينه لان ذلك كاف في اخراجه عن صفة المعظم عبادة . وأما تسوية القبر فإزالة امينه لان المراد بها تسويته بالارض أي جملة مساويا لها . ولكن أجاز الفقهاء رفع القبور قدر شبر كما رفع الصحابة قبر النبي (ص) وصاحبيه (رض) . وقدر بعض من رأى القبر الشريف من السلف ارتفاعه بأربعة أصابع ، نقله الحافظ في الفتح والظاهر انه اعتمده - وقال الشافعي في الام : رأيت الاثمة بمكة يأمرؤن بهدم ما بيني . قال النووي ضد نقله في شرح مسلم ويؤيد ( المنار: ج ٦ ) ( ٣٥ ) ( المجلد المشرون )

المهدم قوله « ولا قبراً مشرفاً إلا سوية » اهـ  
وأما الخلف من العوام والحكام فخالفوا جميع الأحاديث والآثار في المسألة الأولى  
وإنهم ظنوا يشددون المسألة الثانية إلى أن عمت البلوى بها في هذا العصر فصاروا  
يساهلون في أمر اتخاذ التماثيل للزينة وللأنس بصور الأقربين والمحبين وصار العلماء  
يسمحون للمصورين بتصويرهم حتى أكار شيوخ الأزهر وقضاة الشرع والمفتين، وإنهم  
لا يزالون يشددون في صناعة التصوير نفسها على كثرة منافعها وشدة الحاجة إليها في  
غير ما تساهل الجمهور في اتخاذها من أعمالها

سأني بعض العلماء البصرياء في طرابلس الشام مرة عن التصوير إذ قلت أنه  
بعد الآن من أركان العمران والحضارة هل له فائدة يعتد بها شرعاً فإن ما فتى به الناس  
من زينة التماثيل ليس بالأمر النافع الذي يرخص في هذه الصناعة لاجلها ولو في غير  
ما نخشى عبادته أو تعظيمه تعظيماً دينياً ؟ فقلت له لي البداهة ولم يكن قد سبق لي تفكر في  
حصر فوائد التصوير : إن له أنواعاً من الفوائد في حفظ اللغة وإيضاح كثير من العلوم  
والفنون وفي الأعمال العسكرية والإدارية والسياسية وذكرته من الأمثلة على ذلك ما يأتي  
(١) أنا نرى في كتب اللغة أسماء كثير من الأشياء كالنبات والحيوان وغيرها

غير مفسرة بما يعرف به المسمى من لم يكن يعرفه باسمه ذلك بل يقولون حيوان  
معروف أو طائر معروف وصاحب القاموس المحيط يكتب بحرف م الخزل من كلمة  
معروف وهذا تقصير كبير في حفظ اللغة، ولو وضعت صورة الشيء عند اسمه كما كان يفعل  
قدماء المصريين وكما تفعل أم الحضارة الآن لكان ذلك أحسن حفظ للغة ولا  
يفني عنه الوصف بالكلام لأن بعض الأجناس تشابه فلا يسهل التمييز بينها بقول بل  
بتمسك أو يتمدرو وصف أي جنس من أجناس الخواص وصفاً يمكن أن يعرف به كل من سمعه

(٢) يترتب على الجهل بأجناس بعض الحيوان جهل ما يتعلق بها من الأحكام  
الشرعية كالحكم ما يحل أكلها وما لا يحل وأحكام جزاء الصيد على المحرم وغير ذلك

(٣) إن للتصوير فوائد عظيمة في علوم التاريخ الطبيعي والطب والتشريح  
الإنساني والحيواني وفروع هذه العلوم قد عادت كثيرة في هذا العصر، ويتوقف  
إيضاح الحقائق فيها تأليفاً وتعليماً على الصور التي تظهر بها جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة

صحيحة ومربضة فائقان هذه العلوم يتوقف عليها

(٤) للتصوير فوائد عظيمة في الاعمال الحربية، فلا يمكن لمن يتركه أو يقصر فيه أن يقاتل أعداءه بمثل ما يقاتلونه به ولا أن يعد لهم ما استطاع من قوة — ففنها تصوير المواقع والطرق والبلاد والجيوش وما لديها من السلاح والعتيدة، ومنها تصوير من يشبه في أمرهم أن يكونوا عيوننا وجواسيس وقتضي الحكمة أن يحملوا تحت المراقبة. ومنها تصوير من يحتاج إلى تحقيق شخصيتهم لئلا يشبهوا بغيرهم...  
(٥) للتصوير فوائد عند حكومات هذا العصر في الاعمال السياسية والإدارية

كأعمال الجواسيس وحفظ الأمن وغير ذلك وتفصيل ذلك يطول.

لا يقال أن المسلمين يمكن أن يستغنوا عن صناعة التصوير في التعليم والتأليف والاعمال الحربية وغيرها كما استغنى سلفهم فإن هذا بمثابة القول باستغنائهم عن سلاح هذا العصر ومراكبه البحرية والهوائية كما استغنى عنها سلفهم، وإنما كان يصح هذا التشبيه لو كان ما ذكر من المستحدثات موجودا في عصر السلف يستعمله خصومهم وهم يتركونه ولا يضرهم تركه. وهذا باطل لا يقول به أحد.

ولا يترتب على نوع ما من أنواع هذه التصوير تدرع إلى عبادة غير مشروعة ولا إلى تعظيم ديني ولا يقصد بشيء منها مضاهاة خلق الله — فإما أن يؤخذ فيها بقول من يجعل الوعيد على التصوير خاصا بما ذكر من أول الأمر كتصوير الصالحين ومن يخشى أن يفتن الناس بصورهم وتماثيلهم وبما يقصد به مفسدة أخرى كالتعريض على المعاصي وهتك المورثات، وإما أن يخص عمومها بأحكام الضرورة في بعضها وأحكام الحاجة التي تعد من المصلحة الراجحة في بعض آخر، فإن القاعدة في المحرم لذاته أن يباح للضرورة كأكل الميتة ولحم الخنزير، وفي المحرم لسد القرينة أن يباح للمصلحة الراجحة كرؤية الطبيب للمورثات وأبدن النساء الاجنبيات عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين.

فمن عرض مسألة التصوير واتخاذ الصور على هذه القواعد الشرعية علم منها أن دين الفطرة، الذي قرن كتابه ووصف بالحكمة، ورفع منه الحرج والمسر عن الأمة، لم يكن ليحرم صناعة نافعة في كثير من العلوم والاعمال، ويحتاج إليها في حفظ الأمن



وفنون القتال ، وإنما يحرم ما فيه مفسدة أو ما كان ذريعة الى مفسدة ، ولا يبطل ان يقال ان أعمال المصورين في هذا العصر تغريبها الاحكام الخمسة - فاذا سألتنا رؤساء الاحكام وكبار القواد وأركان الحرب والاطباء وغيرهم من علماء الفنون التي هي من فروض الكفايات عن صناعة التصوير الشمسي واليدوي فقالوا ان منها ما هو ضروري يترتب على تركه ضرر عظيم ، ومنها ما فيه مصلحة راجحة ، ومنفعة مجربة - ففتضى الاصول والقواعد تكون واجبة في بعض تلك الضرورات والمصالح . ومستحبة أو مندوبة فيما دونها من المنافع ، ومباحة فيما لا ضرر فيه ولا نفع ، ومكروهة فيما كان مظنة الضرر ، وقد يناقريها ما تكون فيه محرمة وهو ما حمل عليه النص ، فهذا ما أعلمه وأقدمه من نصوص الشرع وقواعده في هذه المسألة وهو يؤيد ما نقلته عن بعض علماء السلف والخلف في التساهل فيها قولاً وعملاً ، والله أعلم

## رحلة الحجاز

### ٧

#### طواف الافاضة

بعد ذلك ركبت دابتي وقصدت مكة المكرمة فطفت طواف الافاضة وهو طواف الركن الذي لا يتم الحج بدونه ، وفي أثناء طوافنا شرع أهل مكة في صلاة العيد ورأيت الأمير يصلي معهم مأموماً . وكان الرجال يصلون في الجهة الغربية من الكعبة المعظمة والنساء في الجهة الجنوبية وهن كثيرات جداً ، ثم سعبنا بين الصفا والمروة وهو من أركان الحج وقد سمعت في هذه المرة ماشياً . وقد اختلفت الروايات : هل طاف النبي (ص) وأصحابه بين الصفا والمروة في حجة الوداع مرة أو مرتين ؟ ففي حديث جابر عند مسلم أنهم طافوا بينهما مرة واحدة قبل هجرة ، وفي حديث عائشة أنهم طافوا مرتين أي عند التقدم وبعد طواف الافاضة ، ورجح المحققون من علماء الحديث رواية جابر ولو ان ما ذكر في حديث عائشة مدرج من كلام الزهري لا من كلامها فيذهب المحدثين ان السعي لا يتكرر ، ويقول كثير من الفقهاء ان لكل نية سعي لا يسقطه السعي بعد طواف القدوم ، وأن السعي العمرة لا يغني عن

السمي بعد طواف الافاضة للحج . ولا يصل النبي (ص) العيد يوم النحر بمكة ولا بمنى كما انه لم يصل الجمعة بعرفة لانه مسافر ولم يكن يصليهما في السفر، وقال بعض العلماء ان رمي جرة العقبة للحاج بصلاة العيد له بره فصلاوة العيد لا تطلب منه وان كان مكيا . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لإقامة السنة على الوجه الاكمل في حجة أخرى أو حجبات كثيرة هذا وانني بعد الطواف والسمي جئت منزلا بمكة واستحضرت حلافا فأخذ شعر رأسي كله بالآلة المروقة بالمكنة أخذا أقرب الى الحلق منه الى التقصير ثم عدت الى منى وقد نخلت من الحج نخللا كاملا ، والله الحمد أولا وآخرا ، وإياه نسأل أن يجعله حجنا مقبولا وسعيا مشكورا . وقد بقي من أهال الحج التي لا يشترط فيها الاحرام —  
رمي بقية الجمار وذبايح النسك

الجمار بالكسر والجرات بالتحريك جمع جرة وهي في أصل اللغة واحدة الجمر من النار، والحصاة، والقبيلة التي نصبر لقراع القبائل، وكل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون الى أحد . قيل سميت جمرات الناسك بمنى بهذا الاسم لانها ترمى بالجمار أي الحصى وقيل لانها مجمع الحصى التي ترمى شبهت باجتماع القبيلة على من ناوأها . وقال أبو العباس أصلها من جمرته ودهرته اذا تحيته ، والتجمير رمي الجمار والجمير ( كالمعظم ) موضع رمي الجمار . فأما جرة العقبة فهي في عقبة منى التي ينحدر منها السائر الى مكة على جانب الطريق ، وأما الجرة الوسطى والصغرى فهما في وسط الطريق الذي يشق منى نصفين وتعرف مواقعهما من صورة منى ( خريطتها ) وفي موضع منى الوسطى والصغرى بناء يقرب من شكل المارة أو المسلة قليل الارتفاع حوله حظيرة مستديرة، وكانت دارنا عند الجرة الوسطى من جهة الشمال وهي أفسح دار هناك . وقد بينا كيفية رمي الجمار وحكمته في مناسك الحج كما بينا حكمة ذبايح النسك . وكنا نذبح كل يوم من أيام منى فأخذ حاجتنا لبومنا وتصدق بالباقي . وقد كانت الذبايح في السنين الخالية تزيد على حاجة أهل البلاد ومن حولهم من الأعراب لكثرتها وأما في هذا العام فهي لا تكاد تكفي قراء الحرم

## الحالة السياسية في الحجاز

في أواخر سنة ١٣٣٤

آتمنا بفضل الله مناسكتنا ، فنحمد الله تعالى ونسأله ان يتقبل منا ، واذا فرغنا من حديث المناسك . فبحسن ان تم فوائد هذه الرحلة بما يمكن بيانها . لأن من أخبار الحجاز الاجتماعية والسياسية ، التي تمد من أعظم الأحداث التاريخية ، ثم ببعض الطرف الادبية ، من المختارات الشعرية ، ونبدأ بذكر انشاء الحكومة الجديدة في مكة المكرمة فنقول : لما شعر بالاستعداد لتأليف هذه الحكومة أصحابنا اللاجئون اليها ، الذين يعدون من أصحاب الشأن أو العمل فيها ، اختلفت آراؤهم فيما ينظر أن تكون عليه ، وما ينبغي أن يكون مسلكهم في هذه الحال على كل تقدير يتصوره الذهن ، وقد استحسنوا ان يجتمعوا ليلا ويكشفوني بآرائهم ويتعرفوا رأيي « والمستشار مؤتمن » ففعلوا . وما بعد من الغريب عند كثير من الناس ان ما كان يجول في أذهان أهل البلاد المختلفة بمكة في هذه المسألة هو عين ما كان يجول في أذهان أهل مصر من الآراء والظنون . ثم ماذا كان ؟

فلما يوم الخميس سابع ذي الحجة انه قد تألفت فيها حكومة جديدة . على الوجه الذي نشر بعد الحج في العدد السابع عشر من جريدة القبلة بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ وهذا نصه :

### ( الحكومة العربية الجديدة )

« ما أذفت الساعة السادسة من نهار الخميس الماضي سابع ذي الحجة حتى اكتظت دار الحكومة بأكابر العرب وعلميتهم تنظراً لشريف رجال الحكومة العربية الجديدة ولما كانت الساعة السابعة وصل صاحب السمو الأمير عبد الله ومعه سائر الوكلاء فصدحت الموسيقى بالسلام الشريف وأخذت الجنود النظامية المرصومة على جانبي الطريق السلام العسكري . ولما استقر بحضراتهم المكان في ندوة الحكومة قرئ المرسوم الشريف الصادر من جلالة سيدنا الملك المعظم الى حضرة العلامة الفضال الشيخ عبد الله سراج بتعيينه قاضياً للقضاة ووكيلاً لرئاسة الوكلاء . وتعيين زملائه حضرات الوكلاء المعظام . وهذه صورة المرسوم الشريف :

## ﴿ المرسوم الشريف بتأليف هيئة الوكلاء ﴾

حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج

انه لما كانت مصالح لرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر أسباب العمران لا بد لها من دواوين يتوزع عليها النظر في الحكومة وما هو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة، ويتمين بها أساس الوظائف الذي تبنى عليه المسؤولية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة . وبالنظر الى ما نحققه فيكم من الكفاية والاستقامة ، عزمنا بعد الاستئمان بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لهدتكم وتميينكم وكيلاً عن رئيس الوكلاء العظام ، وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات الآتية أسماؤهم، وهم ولدنا عبد الله بن الحسين لوكالة الخارجية ويكون وكيلاً عن وكيل الداخلية، وعبد العزيز بن علي رئيس أركان حرب ووكيلاً عن وكيل رئاسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة، والشيخ علي مالكي وكيلاً للمعارف والشيخ يوسف ابن سالم رئيس البلدية سابقاً وكيلاً للمنافع العمومية، والشيخ محمد أمين مدير الحرم الشريف سابقاً وكيلاً للأوقاف مع بقائه في نظارة أمور الحرم وكلاً يتعلق بوظيفته الشريفة، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه وكيلاً للمالية . وذلك لما توسمناه من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح بلاد وأهلها على ما يرضي الله ، واتنا نتنظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين لرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وأرجو الله سبحانه أن يجعلنا مظهر نوفيته وهداه ، في كل ما يحبه يرضاه

في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤ هـ شريف مكة وأمرها

حسين

ثم تلي مرسوم شريف آخر بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصه :

## ﴿ المرسوم الشريف بتأسيس مجلس الشيوخ الأعلى ﴾

وكيل رئيس الوكلاء وقاضي القضاة مولانا وفقه الله

بما أننا قد استفسنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم ( مجلس الشيوخ ) وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على أعمال لدواوين



والدوائر الرسمية وإبداء رأي فيما تعرضه الدوائر على مقام وكيل رئيس الوكلاء ومبقر فيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي ، فقد جئنا رئيساً له جناب الفاضل الاجل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد صالح الشبيبي . وأعضاءه حضرات الافاضل الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح لزواوي ومفتي المالكية الشيخ هابد بن حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشبيبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن علي ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقاف والشيخ عبدالله علي رضا والشيخ علي بن عبدالله الشرباصي والشيخ أبو بكر بن محمد خوقير وذوي السيادة والشرف حمزة بن عبد الله الفهر وقن بن محسن وصليمان بن أحمد بن سعيد وناصر ابن شكر وتبليغهم ما ذكر اقتضى تحريره ما في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤

شريف مكة وأميرها

ما نقل عن جريدة القبلة

حسين

ولما علم الناس بتأليف الحكومة الجديدة كان حديثها شغلهم الشاغل وكانوا ينتظرون أن يسمعوها يوم الجمعة ثامن الشهر شيئاً جديداً في تعيين شكلها، واستحسن بعض الاخوان الذين رأوا ما رأوا من اكرام الامير مثواي أن اطلب التشرف بمقابلة خاصة أتوسل بها الى عرض ما عرفوا وحمدوا من رأيي في شكل هذه الحكومة ففعلت، نلت الحظوة في أول الليل على سطح في أحد جوانب قصر الامارة وتوصلت بذكر ماتم من تأليف مجلس الوكلاء الى السؤال عن شكل الحكومة كيف يكون ؟ ففضل الامير بتواضعه المهور قائلا : هذا ما نحب ان نأخذ رأيكم فيه . فذكرت رأيي مفصلاً تفصيلاً، ولكنني لم أسمع كلمة ولا رأيت اشارة تدل على استحسان ولا على انكار، ثم استأذنت وانصرفت. قلت ان جمهور الناس من المكين والحجاج كانوا ينتظرون أن يسموها يوم الجمعة شيئاً جديداً فلم يسموها ، وكان من صلى الجمعة في المسجد الحرام من المصريين على مقربة من المنبر يلقون السمع الى الخطيب عند الدعاء، فسمعوهم بأذانهم يدعوا للسلطان محمد رشاد ، وخرج الناس من المسجد الحرام ، ولم يقع ما كانوا يتوقعون من المباينة بالخلافة بين الركن والمقام ، فزال بذلك مازال من الظنون والاهام .

ثم عاد الناس الى الحديث في هذه المسألة في مساء يوم العيد بمنى وأشيع ان

المباينة يحتمل أن تكون ضحوة غد في أثناء الاحتفال المعتاد في سرادق الأمير، ذلك بأن المادة قد مضت بأن تكون ضحوة اليوم الأول من أيام منى موعد تهنئة الأمير الشريف بالعيد وأتمام المناسك فكان يحضر لديه والي الحجاز وقائد الجند فيه وأمير الحج الشامي والمصري وكبار الشرفاء والطلما وكبراء رجال الحكومة ووجهاء مكة المكرمة والحجاج ويتلى فرمان السلطاني الذي يهد فيه إلى الشريف بالنظر في شؤون إقامة الحج وحفظه في الحجاز... ويطلع الوالي على الأمير لحظة السلطانية. ولما أشيع ما أشيع جاءني أولئك لأصحاب ليل المذاكرة في الأمر وبعد طول التشاور فيه اقترحوا علي أن أذهب إلى نخم الإمارة لاكتشاف الحقيقة إذ قيل إن جمهور رجال الحكومة الجديدة وشرفاء مكة ووجهاء هايرون وجوب المباينة بالخلافة وإن سيدنا الأمير مخالف لهم في ذلك ويرى ترك ذلك إلى جماعة المسلمين في سائر الأقطار، وقد بين هذا المعنى بعد ذلك في بعض المنشورات الهاشمية. ولما كان منزلنا بعيدا عن نخم الإمارة وكان الإخوان يطمون أن الأمير لا يسهر كثيرا جازني بمجود كريم فركبته وأسعرت لي السرادق الخاص قبيل لي إن سيدنا قد نام، وسألت عن نجله الأمير عبد الله قبيل أنه قد نام أيضا فعدت أدراجي إلى اخواني فأخبرتهم بذلك وانصرفنا إلى مضاجعتنا. بت ليلى أفكر في هذه المسألة ولم يبق لي من أعمال التسك ما يشغل قلبي عنها وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه الليلة عن رأي الأمير دون من حوله، وقد أكبرته لذلك، وكان أعجبي من منشوريه الأولين جعل عداوته لفئة الأنحاديين المتغلبة للشعب التركي ولا لدولة العثمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في أول عهدنا - وكنت أرى أن مبارزتها المدارة لفئة المتغلبة قد يقف بني زعمائها على العرب عند حد ما اجترح جمال باشا من المواقف التي هي شر لدولته وكذا لجمعيته لا خير لها كما توهم، وإن وقع الحركة الحجازية، محصور في هذه الفائدة المرجوة، وفي إغاثة جيران بيت الله من المجاعة والهلكة المحيطة وفي الاحتياط لما يجب إذا سقطت الدولة، وأرى أنه يجب السعي لتحقيق ذلك بدون ارتكاب إثم يربى شره على خيره، وكنت أشرت إلى رأيي هذا وإلى حسن ظني في الأمير الشريف في مقال المحاورة الذي نشر في المنار قبل الحج وقبل العزم عليه ذلك ما بت أفكر فيه، ولما أصبحنا أسرع الناس إلى مكان الاحتفال مشرقين

## ٢٨٢ خطبتنا السياسية بمنى . الاسلام دين سيادة [ المنار : ج ٦ ص ٢٠٤ ]

وتأخرت الى الضحوة الكبرى فألقيت مرادق الامارة غاصا بالناس وكذا الفجوة التي أمامه ولولم يزني بعض من يبرقني هنالك لما تيسر لي اختراق ذلك الجمع الكثيف، والنفوذ الى المجلس الهاشمي الشريف ، ولكن رأيت من فرج لي فرجة بين الناس دخلت منها الى أن بلغت الحلقة الكبيرة وجلست على كرسي أخلي لي فيها، وكان الناس من مصرين ومكيين قد شرعوا في إلقاء الخطب والقصاص في التهاني والادعية، فرأيت أن ألق خطبة في بيان الحقيقة التي عرفتها بالبحث والاختبار، والآراء التي أنتجتها تلك الأفكار، أشير فيها الى آراء الناس من الحجازيين والآفقيين وكنت قد بلوت أخبارهم ، واكتنيت معرفتهم وانكارهم، وأذكر مالدني من الرأي في المسألة الحجازية وما يشترط في ذلك بقدر ما يسمعه المقام، فلما فرغ من كان يتكلم قبل مجيئي استأذنت فأذن لي فقلت وقلت ما ملخصه كما نشر في جريدة القبلة

. وكل ما يوضع فيها بين الالهة هكذا ( ) فهو من قبل جريدة القبلة كما هو ظاهر الا الآيتين الكريمتين : في أولها فها من أصل الخطبة

## خطبتنا السياسية في منى

أيها المسلمون الكرام ، من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام ، انكم تعلمون أن الاسلام دين سيادة وسلطة ، وأن شريعته أنزلت ليقم أحكامها أهله ، لقوله تعالى ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ) على التأويل المشهور للآية وتعلمون أن الله تعالى قد جعل هذا الدين عربيا اذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقد بين الله تعالى ذلك بقوله ( وكذلك أنزلناه حكما عربيا ) فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربيا ، لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتابه المتعبد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومهبط وحيه ومشرق نوره ، وكان أهلها هم السابقين الى تلقيه والاهتداء به ، ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فسائر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا



الام بإقامة أحكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يسمعو له نظيراً كما اعترف بذلك المنصفون من الأفرنج وغيرهم

ثم طرأ الضعف على السلطة الإسلامية بتفرق الوحدة العربية الكافّة لها، وتناقل الأعاجم في الدول الإسلامية التي تعددت بسبب ضعف سلطة الخلافة . فبعد أن كانت الفتوحات الإسلامية في مد لاجزر معه، صارت دول الطوائف الإسلامية بين مد وجزر، وقوة وضعف، حتى وصلت الدولة العثمانية منها إلى درجة عالية، ومكانة سامية، من القوة الحربية وسعة الفتح والتغلب، فسر بها المسلمون ورضي ببعض حكامهم المستقلين بسيادتها طوعاً واختياراً، كما دخل بعضهم تحتها اضطواراً، وقد كان أمراء مكة العظام أهل بيت سيدنا هذا (وأشار الخطيب إلى جلالة ولانا الأمير) في مقدمة من أيد هذه الدولة واعترفوا بسلطانها وسيادتها، لاجل جمع كلمة المسلمين بها وإعلاء شأن الشريعة الإسلامية بنفوذها (هنا قال جلالة سيدنا للخطيب صدقت) ثم إن هذه الدولة قد سرى إليها الضعف ودب إليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون.

وانتي أذكر لكم بعض الشواهد على ذلك من تاريخها الرسمي منذ مئة سنة ونيف إن محمد علي باشا الذي كان والياً للدولة على مصر قد زحف على سورية ففتحها، ثم على الأناضول فتوغل فيها، ولولا أن الدولة الانكليزية أكرهته على الرجوع إلى مصر لاستولى على بلاد الدولة كلها . وكان ذلك على عهد السلطان محمود الذي كان بعد مصالحها في الدولة ومجدها لها بقضائه على عسكر الانكليزية المحتل وادخاله نظام الجندية الأوروبية في الدولة

تولى السلطان محمود السلطنة في سنة ١٢٢٣ وتوفي سنة ١٢٥٥ فخلفه السلطان عبد المجيد الذي صرح في خطابه عند اعلان « التنظيمات الخيرية » في كلخانة بأن الضعف والخلل قد طرأ على الدولة منذ ١٥٠ سنة وأنه لا بد من تلافي خطر ذلك بالنظام الذي أعلنه بتسدير أساطين الدولة في عهده . ولكن ذلك النظام لم يعد إلى الدولة قوتها ولا أنقذها من الخطر الذي كان يخشى عليها . ودليل ذلك أن أركان الدولة قد خلعوا أخاه السلطان عبد العزيز الذي خلفه سنة ١٢٧٧ وقتلوه أو ألجأوه إلى بئس نفسه بيده سنة ١٢٩٣ بحجة أن استبداده كان حائلاً دون اصلاح الدولة وتجديد شبابها . وولوا بعده السلطان مراد ولم يلبثوا أن خلعوه في تلك السنة وولوا



بعده السلطان عبد الحميد الذي كان عاهدكم على العمل بالقانون الاساسي الذي قلدوا فيه الدول الاوروبية ظنا منهم بأنهم لا يعترفون الا بما اعترفت به من الحكم النيابي وأما سيرة السلطان عبد الحميد فهي معروفة عنكم لان العهد بها قريب ، وقد خلطته جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته، وتولت الجمعية السيطرة على الدولة بعده ، فإذا كان من أمرها ؟ هل كانت خيرا من أولئك السلاطين العظام الذين لم يقدروا أن يصلحوا ملكهم الذي ورثوه عن آباءهم وأجدادهم ؟ كلا ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أو شاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلايك وشر كاؤم في النمسة وألمانية أقوى أنصارهم ولذلك نرى أكبرهم جمع المال . فلا هم على دين هذه الدولة فيفارقوا عليه ، بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها

واذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصيبت بالضعف الى أن أصيبت بهم ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحرية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية ، ثم رأينا دولة البلغار — التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم ينم لها الاستقلال الا في عهدهم — قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في شطلجها تمزق مسامع أهل الآستانة . وكان السبب الحسي لذلك قلة ما عند الجيش العثماني من المؤنة والذخيرة والدواب وسائر أسباب الحرب

وقد خسرت الدولة في عهد المشؤم من الممالك ما لم تخسر مثله في عدة أجيال : خسرت البوسنة والهرسك يبيع الجمعية اياها للنمسة ، وطرابلس الغرب وبرقة يبيعها اياها لاطالاية ، ومكدونية وألبانية وكريت وجزائر الارخبيل ، ونسكت عما خسرتها في هذه الحرب من الولايات — فقد أضاعوا نصف الدولة في بضعة سنين ، وحملوها فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون . ثم عمدوا الى الامة ، فأفقروها كما أفقرت الدولة . فهذا هو الاصلاح الذي خلعوا لاجل القيام به سلطان الدولة وخليفتها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده

فيا أيها المسلمون الغيورون المبصرون ! إذا كان قد ثبت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهد أنها كانت ضعيفة يخشى عليها الزوال قبل هذه الارزاء والمصائب التي منبت بها شؤم هذه الجمعية ، فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنار هذه الحرب ، وتعرضت لعداوة أكبر دول الأرض ؟

ان سواد المسلمين الاعظم يفارون على هذه الدولة ويتمنون لها دوام الاستقلال وكل القوة للسبب الذي بيناه في فاتحة الكلام ، ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكنه الخطر الحاثق بها . ويقل فيمن يعرف ذلك من يسعى لتدارك ما يترتب على هذا الخطر اذا وقع من فقد الاسلام لما بقي من أحكام شريعته ، وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاقته

لم نر أحدا من زعماء المسلمين وكبرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وانبرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم — أمير مكة وشريفها — فانه . أى أن الدولة — وهومن أعلم أهلها بحالها — قد أمست على شفا جرف ، وأن ملاحظة الاتحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفية والقوة العسكرية ذريعة للتكيد بالامة العربية بتقتيل رجال الفكر والعمل ومصادرة أموال أهل الثروة منها حتى لا يبقى فيها رجاء في عامل ولا في عمل ، فاتدب لتدارك الخطب ومصارعة الخطر بنفسه الكريمة وأنفس أنجاله النجباء . ولو استطاع أن ينقذ الدولة نفسها من الخطر لفعل ، ولو بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الأنجال الكرام (هنا قال الأمير حفظه الله تعالى للخطيب صدقت) اسكن العمل لا نقاذ الدولة نفسها من الخطر قد أصبح فوق طاقته وطاقته غيره ( ... صدقت ) فرأى أن يبدأ بالمستطاع وهو انقاذ الحجاز مهد الاسلام ومشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء ، ثم انقاذ غيره مما يمكن انقاذه من البلاد العربية ، ليكون ذلك بيئة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بما يخشى ويتوقع أن يحل بالدولة العثمانية والعياذ بالله تعالى ( ... صدقت )

لا يخفى على ذي بصيرة ان الاتحاديين ما حشروا الالوف من جيوشهم في الحجاز الا بنية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم أن أعداءهم الحلفاء لا يحاولون الاستيلاء على الحجاز ولا يماربون أهله ، فكان من المعقول ان يرسلوا تلك الجيوش الى قتال

أعدائهم الروس واتخاذ ما فتحوه من الولايات التركية ، ولكن التشكيل بالعرب أم  
عندهم من دفع الروس عن عقر دراهم . ولو تم لهم ما أرادوا لرأينا من فظائهم في  
الحجاز ما هو أشد من فظائهم في الشام ( ... صدقت )

نعم ان الحلفاء لا يحاربون الحجاز ولكن وجود الجيوش الاتحادية فيه ألجأهم  
الى ضرب الحصر البحري على ثغوره فضاعت المعيشة على أهله حتى باعوا حلبيهم  
وأثاثهم وأبواب بيوتهم وخشب سقفها ولو طال عليهم أمد ذلك سنة أخرى لا كلتهم  
المجاعة وما يتبعها عادة من الاوبئة ( ... صدقت )

أعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز - والحاجة قد اشتدت اليه حتى  
وصلت الى حد الضرورة - وما كان ايجاد في الامة العربية ولا الامة الاسلامية كلها  
من آتاه الله من البصرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ما ينهض به للقيام بهذا  
المب العظيم ، ولولا ثقته بالله وتوكله عليه لما نجراً على ذلك لانتنا كنا نعلم أنه لا يوجد  
في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يعتمد عليها في مثل هذا العمل ( تصديق .. )  
كنا نعلم أنه لا يوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف  
الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نخشاه عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد  
العربية لما خص الله تعالى به هذه البقعة وأهلها من الخصائص ، ولا يعقل ان يحفظ  
استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان إن هو زال من مهده وموطن نشأته ومحل  
اقامة شعائره . انفردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها أجدر بقاع العالم الاسلامي  
لإقامة استقلاله . وكذلك انفردت سيدها وأميرها في هذا العصر بالنهوض بما يجب من  
العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان له بعمله أكبر منة في اعناق  
أهل هذه البلاد وفي اعناق جهيم المسلمين الذين يشعرون بأن أمر هذا الاستقلال  
هو أهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور

أيها الحجازيون ان من يكفر منكم لهذا الرجل المصلح المنتقد هذه النعمة فهو أكفر  
الناس للنعم . أيها المسلمون يجب ان تعلموا ان هذا العمل أعظم خدمة للاسلام في  
هذا الزمن . فان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظت استقلالها لم يكن  
استقلال العرب في الحجاز وغيره ما نعا من ذلك ولا من تعاضد العرب والتكلم مع



حفظ حقوق كل منهم . وان سقطت وفقدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيه ولكنه يكون سببا لحفظ استقلال الحكم الاسلامي في أشرف بقاع الاسلام، بل لا يغيب عن أذهانكم اهلولا اعلان هذا الاستقلال أثره على سقوط الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم غيبة في أيدي الدول الفاتحة . فان تركوها بعد ذلك لنا كان لهم منة التصديق بهما علينا . والا كانوا تحت سيادتهم والقيام بالله تعالى . وبهذا يتبين لكم ان هذا العمل العظيم ، الذي قام به هذا الزعيم العظيم ، قد أخذ الحرمين الشريفين وما حولهما من هذا الخطر الجسم . ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بانشاء دولة جديدة له . فله بهذا أكبر منة على جميع المسلمين . وما أقول هذا نلقاه ولا مدحا شمريا ، وإنما هو الحقيقة البيضاء الناصعة ينتها لكم بالايجاز الذي يحتمله المقام والسلام اه الخطبة قالت جريدة القبلة متفنية على هذه الخطبة ، : « وبعد أن جلس (أي الخطيب) أذن عليه جلالة سيدنا أيده الله بروح من عنده وقال للناس انه لم يره الا منذ أيام قليلة ، وتزيد عليها أنه قد صرح بأني عبرت في المسألة عن فكره ورأيه ولم يسبق له مكاشفتي به وانه لم يرني الا منذ أيام قليلة، وهو صادق فيما قال ، وانني ما كنت أرجو أن يرضيه خطائي إلا من باب حسن الظن فيه الذي استنبطته مما كنت أعلم من سوءة جملة جهال باشا وأعوانه، ومن مفشور به الدالين على قيامه بما قام به في الحجاز لاجل الداعية التي وصلت الى حد لا يضطرار ، وانها ضرورة تقدر بقدرها ، وهذا هو الحكم الشرعي في مثلها ، وقد جعلتها مقدمة للسمي الى ذلك .

وأقول ان وقع الخطبة قد كان حسنا في سمع الجمهور ، وكانت موضع حديث الناس وثنائهم ، حدثني بذلك الكثيرون في منى ثم في مكة ، وقد علمت أنها جمعت بين إرضاء الفريقين المتعارضين في الرأي — فريق المشائعين من ثورة الحجاز الخائفين ان تكون سببا لضعف الدولة العثمانية وزوالها ، على حين لا استعداد لانشاء دولة اسلامية محل محلها ، وفريق المتفائلين الذين يرجون ان تكون مبدأ دولة عربية مستقلة تحيا بها حضارة العرب الزاهرة ، حتى ان أصحاب فكرة المبايعة كانوا يرجون عند سماع الخطبة ان تكون مقدمة للمبايعة .



زارني بعد نزولنا من منى الى مكة الشيخ عبد الملك الخطيب أحد أدباء مكة المقربين من الحضرة الهاشمية - وقد تقدم ذكره في هذا الرحلة - فكان جل حديثهثناء على الخطبة، وقال اني كنت في الحضرة الهاشمية أذكر محاسنها وأنوه بها وان سيدنا واقفي على ذلك وساهمني فيه، ثم ذكر انه كان ينقصها شيء واحد، قلت بل ينقصها هندي أشياء ولكن الوقت لم يكن يتسع لاكثر مما قيل، قال: لم أهن ان في الخطبة نفسها قصا بل هي كاملة، وانما كان ينقصها ان تكون مقدمة للمباينة، فلو انك بعد إتمامها مددت يدك وبايعت سيدنا لاتبعك الناس وكان أمراءهم فولا، قلت ان هذا ليس من رأيي ولا من حقي، وما يؤمنني ان يقال لي ما قيل لذلك الشاعر الذي قال وخذا النوم من عيني فاني قد خلعت الكرى على المشاق

فقبل له خلعت ما لأملك على من لا يقبل؟ وبهذا حولت المباحثة السياسية الى مفاتحة أدبية هذا - وانني قد تشرفت بعد ذلك بمحديث مع الحضرة الهاشمية في موضوع الخطبة، فكان مما قال الامير ان المسألة الجوهرية في الخطبة هي ان الدولة العثمانية على خطر وأنا موافق لك على هذا الرأي من قبل الحركة ولكن أثار الناس أو المسلمين لا يعقلون ذلك. وقد عرضت عليه في هذه الجلسة شيئاً من خلاصة رأيي في المسألة العربية، وما يجب إتخاذه من الاحتياط في مسألة الدولة، على لوجه الذي أشرت اليه في خاتمة الخطبة، فأظهر لي الاستحسان، وأحال على الزمان، وقراء المنار يعرفون رأيي مما بسطته في المقالة التاريخية (المسألة العربية) التي نشرتها في الجزء الاول من المجلد العشرين، ومنه ان الثورة الحجازية قد أدت وظيفتها، وفادت مارجونا منها، فأخذ الحجاز، وأوقفت بغية البغاة، وأحمد الله اني كنت أسعى الى تنفيذ هذه المقاصد، على تلك القواعد، واتي الآن معنزل لاعمال السياسة وأهلها، منتظر حكم العزيز الحكيم في أمر أممي والشعوب كلها.

### ﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

بقي مما ينبغي أن يذكر في ترجمته ما انفرد به دون أمثاله من شيوخ الازهر كانكاره كتابة على الدولة العثمانية انتك بالارمن في أطلنة - وكرائسته لاحتفال اللجنة السورية التي عقدت في دار التمثيل الاميرية لاعانة طلبة العلم السوريين في الازهر - تلك اللجنة التي قال في حدها بحق انها مسيحية ليس فيها الامام واحد تسمى لاعانة مسلمين ليس فيهم نصراي واحد - وغير ذلك من الامور المندية المصرية، ولم يتيسر لنا جمع ما كتب في ذلك بوقته من الجرائد، ولم يذكره أحد في ترجمته



المجلد العشرون

٢٨٩

الجزء السابع

أولئك الذين هدهم الله فبئس عبادي  
أولئك الذين هدهم الله فبئس عبادي

المسحاة

١٣١٥

فبئس عبادي الذين يستمعون القول فيتنبون أحسنه  
أولئك الذين هدهم الله فبئس عبادي

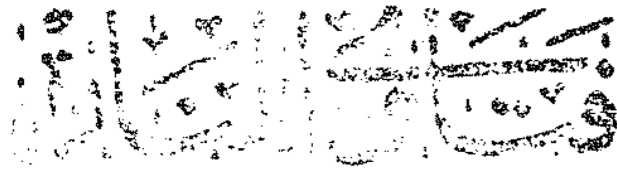
قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و «منارا» كنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٦ — ٢١ المحل (ر ١) ١٢٩٦ هـ ١١ إبريل ١٩١٨

(المجلد العشرون)

(٣٧)

(المنار: ج ٧)



فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله ( وظيفته ) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قد منأماخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمشل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

### ﴿ التبثيل العربي ﴾

#### ﴿ اشتغال المرأة المسلمة به وتمثيل قصص الانبياء ﴾

( س ١٠ ) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

جمعتي النوادي بطائفة من المتعلمين الذين قلما يخلو مجلسهم من البحث وبأية مناسبة دار يفتنا ذكر التبثيل العربي وبسطا على بساط بحثنا (١) المرأة المسلمة والتبثيل (٢) تمثيل روايات الانبياء عليهم السلام عموما وخائهم خصوصا فقر رأي فريق منا على جواز ذلك كله اذ لا تتم أدوار التبثيل وفصوله لا بالمرأة فاذا جوزنا التبثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التبثيل . وأي مانع يمنع تمثيل روايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عموما وخائهم خصوصا وهو لم يخرج عن كونه درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي يشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يبجد له أراء، ومنع فريق آخر كل ذلك دعه نوعا من التقليد الافرنجي الذي يستحوذ على بعض البسطاء فيعدونه مفتاح تمدن الامة في حين أنه شر عليها وعلى أخلاقها الذاتية . فهذا ما كان من الفريقين أما أنا كاتب هذه السطور فقد أعلنت الحيدة حتى أسترشد برشدكم أو أستنير بفنينا مناركم والسلام

كاتبه

محمد محمد صفان

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

## [المنار: ج ٧ م ٢٠] مفاسد اشتغال المسلمة بالتمثيل ٣١١

(ج) قلت هدا لله وإيك محجة الصواب في الحكم . وعصمنا ان تقفوا ما ليس لنا به علم : ان بعض الاندية جمعك بجماعة من المتعلمين الباحثين ، وانهم ذكروا « التمثيل العربي » فاختلفوا في جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، وفي جواز تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وخاتمهم خاصة ، فقالت طائفة منهم بجواز الامرين ، وعلاوا الاول « بأن أدوار التمثيل ونصوله لا تتم الا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل » وعلاوا الثاني بأنه « درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعظ وقل من يصادفه أو يجده له آرا » وقالت طائفة أخرى بمنع الامرين وعدوه من التقليد الا فرنجي الضار ، الذي يغتر به الاغرار ، وقلت انك وقفت حتى تستفي المار ، فهناك ما أفهمه في المسألتين الانتصار : لم يأت فريق المجيزين بشيء من العلم ، يدل على ما جزموا به من الحكم ، فان سلمنا لهم ان التمثيل لا يتم الا بالمرأة — لا نسلم لهم ان جوازه يستلزم جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، بل نسألهم ماذا يعنون بهذا التمام ؟ وهل يعتد به شرعا ؟ ولماذا لا يستغنى فيه بالمرأة غير المسلمة التي تستبيح من أعماله ما لا يباح للمسلمة ؟ وبأي حجة جعلوا القول بجواز التمثيل الذي ينقصه وجود المرأة المسلمة أصلا بنوا عليه القول بجواز اشتغالها بالتمثيل ؟ وهل يعدو التمثيل المطلق ان يكون مباحا أو مستحبا بشرط خلوه من فعل الحرام وذرائع الفساد ، واشتماله على الوعظ النافع والارشاد ؟ أو ليس الصواب أن يقال — والامر كذلك — ان التمثيل الذي يتوقف على قيام المرأة المسلمة ببعض أعماله على الوجه المعروف في دور التمثيل بمصر غير جائز ، لان ما توقف على غير الجائز فهو غير جائز ، أولان دره المفاسد مقدم على جلب المصالح ؟ ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرمة ( منها ) ظهورها على أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والتحر وأعلي الصدر والذراعين والعضدين ، ونحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا حاجة الى ذكر النصوص فيه ، ( ومنها ) الاشتراك مع الرجال الممثلين في أعمال تدثر في التمثيل وان لم تكن من لوازمه في كل قصة كالماقة والمحاصرة واللامسة بغير حائل ( ومنها ) غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص دون بعض



كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقائع المشق والفرام المحرم بما فيه من الاعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته . ولا أنكر انه يمكن للكتاب العالم أحكام الشرع وآدابه أن يكتب قصة تمثيلية يودع بعض فصولها أعمالاً شائقة وأقوالاً نافعة اذا مثلتها امرأة مسلمة تبرز في دار التمثيل غير متبرجة بزينة ولا مبدية لشيء مما حرم الله ابداءه من بدنها ، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ولا من ذرئته ، فان تمثيلها يكون بهذه الشروط مباحاً أو مستحباً . مثال ذلك أن تؤلف قصة في الترفيب في الحرب للدفاع عن الحقيقة وحماية البلاد عند وجوبها باعتداء الأعداء عليها ، ويذكر فيها ما روي عن الخلفاء رضي الله عنهم في حث أبنائهم على القتل بالنظم والنثر . فمن ذا الذي يتجراً على القول بتحريم ظهور امرأة تمثل الخلفاء في مثل تلك الحال ، التي هي مثال الفضيلة والكمال ؟ ولكن امكان وضع مثل هذه القصة — وهو من الممكنات التي لم تقع — لا يبنى عليه القول باطلاق جواز ما هو واقع من التمثيل المشتمل على ما ذكرنا وما لم نذكر من المنكرات المحرمة والمكروهة شرعاً

وأما تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد تملوه بأنه درس وعظ مؤثر ، يمتون ان كل ما كان كذلك فهو جائز ، وهذه الكلية المطوية ممنوعة ، وتلك المقدمة الصريحة غير متعينة ، فان هذه القصص قد توضع وضعاً منفراً ، فلا تكون وعظاً مؤثراً ، وان من الوعظ المؤثر في النفوس ما يكون كله أو بعضه باطلاً ، وكذباً وبدعاً ، أو مشتملاً على مفسدة أو ذريعة اليها ، ويشترط في جواز الوعظ ان يكون حقاً لا مفسدة فيه ولا ذريعة الى مفسدة . وبناء على هذا الاصل ننظر في هذه المسألة من وجوه

( أحدها ) ان المعروف الاسلامي العام بعد تمثيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم أو مزرية بقدرهم ، ومما أعهد من الوقائع في ذلك أن بعض النصارى كانوا أرادوا أن يمثلوا قصة يوصف عليه السلام في بعض المدن السورية فهاج المسلمون لذلك وحاولوا منهم بالقوة ، ورفع الامر الى الأستانة فصدرت ارادة السلطان عبد الحميد بمنع تمثيل تلك القصة وأمثالها . فان قيل ان بعض مسلمي مصر كأولئك المتعلمين القائلين بالجوز لا يعدون ذلك إهانة ولا ازراء اذ لا يخفى على مسلم ان إهانة

الانبياء أو لازراء بهم أقل ما يقال فيه انه من كبار المعاصي وقد يكون كفرا صريحا وردة عن الاسلام — نقول انما العبرة في العرف بالجمهور الذي تربى على آداب الاسلام وأحكامه لا بالأفراد القلائل ومن غلبت عليهم التقاليد الأفرنجية، حتى صاروا يفضلونها على الآداب الإسلامية، كذلك القاضي الألهي الذي حكم ببراءة استاذ مدرسة أميرية غزل امرأة محصنة وتصابها، وكشفها بافتانه بجمالها، حتى هجره الرقاد، وواصله السهاد، فشكت المحصنة هذه الوقاحة الى زوجها فرفع الزوج الامر الى قاضي العقوبات، طالباً تعزيز ذلك العادي المغتات، فكان رأي القاضي ان «منازلة المحصنات الحسان وتصيبن» يحل ذلك الكلام الذي يفسدهن على أزواجهن، لا يقتضي سجننا ولا غرامة، ولا تأنيبا ولا ملامة، لانه بظيار لحب الحسن والجمال، وهو من ترقى الذوق وآيات الكمال، ولكن مارآه هذا القاضي المتفرنج حسنا وكلا، رآه السواد الأعظم من المسلمين تصا قبيحا، وأنكره عليه في الجرائد حتى «نعتها مراقبة المطبوعات من التماذي في الانكار، واستأنف لزواج الحكم فقضه لاستئذاف» وحكم بأن كلام ذلك الاستاذ جريمة منافية للآداب. ولو حاول بعض أجرى لتمثيل تمثيل قصة أحد لرسل الكرام، عليهم الصلاة والسلام. لرأوا من نكار العلماء والجرائد ما لا يخطر ببال أولئك الافراد الذي يرون جوزه، ولو وقع مثل ذلك في بلد لم تدال أهله سيطرة الحكم لما كان لا مثارا للفتنة، وانصدي الناس اصدا امثاين بالقوة، بل يطلب على ظي ان أكثر الناس يعدون تمثيل الامراء والسلاطين، وكبار رجال العلم والدين، مما يزري ب مقامهم، ويضع من قدرهم. ونأحدا من هؤلاء الكبراء لا يرضى لنفسه ذلك.

(الوجه الثاني) ان أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة، وأرقام في الصناعة لا يرتقي الى مقام الخاصة، فان فرضنا أن جمهور أهل العرف لا يرون تمثيل الانبياء إزرء بهم على اطلاقه، أفلا يعدون من الازراء والاخلال بما يجب لهم من التعظيم أن يسمى (السي فلان) أو (الخواجه فلان) ابراهيم خليل الله أو موسى كالم الله أو عيسى روح الله أو محمدا ختم رسل الله؟ فيقال له في دار لتمثيل يارسول الله، قولك في هذا... فيقول هذا... ولا يبعد بعد ذلك ان يخاطبه بعض

العلماء بهذا اللقب في غير وقت لتمثيل على سبيل الحكاية أو من باب التهكم والزرابة، كأن يراه بعضهم يرتكب إثمًا فيقول له : مدد يارسول الله ! ألا ان اباحة تمثيل هؤلاء الناس للانبياء قد تؤدي الى مثل هذا، وكفى به مانعًا لو لم يكن ثم غيره ( الوجه الثالث ) تمثيل الرسول في حالة أو هيئة نزرعي بمقامه ولو في أنفس العوام وذلك محظور وان كان تمثيلًا لشيء وقع . مثل ذلك ان يمثل بعض هؤلاء المثاني المعروفين يوسف الصديق عليه السلام بهيئة بدوي مملوك تراوده سيده عن نفسه وتقد قميصه من دبر ، ثم يمثل مسجونًا مع المجرمين . ويتجلى النظر في هذا الوجه ببيان مسألة من أعظم المسائل التي يغفل عنها أمثال أولئك الباحثين الذين ذكروهم المستفتي ، وهي ان الرسل عليهم الصلاة والسلام بشر مبزهم لله تعالى بما خصهم به من الوحي ، وهداية خلق الى الحق ، وقد كنت بشريتهم حجابًا على أعين الكافرين حال دون ادراك خصوصيتهم ، فأذكروا ان يكون الرسول بشرا مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وروي عن المسيح عليه السلام ان النبي لا يهان الا في وطنه وقومه ، وقل بعض العلماء في هذا المعنى : أرهد الناس في الولي أهله وجيرانه . أي لانهم قلما يرون منه إلا ما هو مشترك لهم فيه من الصفات والعادات . وأما ما يمتاز به من دقائق الورع والتقوى والمعرفة بالله تعالى فنه ما هو ساي لا يفتنون له ، ومنه ما هو خفي لا يدركونه ؛ ولذلك حنيج في إيمان أكثر الناس بل ل قبل الارتقاء العقلي الى آيات الكونية . وبعده الى آيات العلمية ، ( كالقرآن الحكيم من الامي ) ولذين يؤمنون بالرسول من بعدهم يسمعون من أخبار آياتهم وخصائصهم وفضائلهم أكثر مما يسمعون من أخبار عاداتهم وصفاتهم البشرية ، وبذلك يكون تعظيمهم وإجلالهم لهم غير مشوب بما يضعف الإيمان بهم من تصور شؤونهم البشرية . على ان الواجب ان يعرفوا منها ما يحول دون الغلو في التعظيم والاطراء الذي ينع به الغلاة الانبياء الى مقام الربوبية والالهية ، والتفريط في ذلك كالافراط . فتمثيل أحوال الانبياء وشؤونهم البشرية بصفة تعد زراية عليهم ، والذرهم أو فضية الى ضعف الإيمان والاخلال بالتمظيم المشروع - مفسدة من المفاسد التي يحظرها الشرع ، فكيف اذا أضيف اليها كون التمثيل في حد ذاته بعد في العرف العام تنقيصا

أو إخلالا بما يجب من التكرام - وكون الممثلين من هوام الناس ، وقد علمت ما في ذلك .

( اوجه لرفع ) ان من خصائص القصص التمثيلية الكذب ، وان الكذب على الانبياء ليس كالكذب على غيرهم ، فاذا جاز أن يسند الى أسماء لامسيات لها كلام تقصد به "المظة والمأثرة" كما يحكون مثل ذلك عن السنة الطبر والوحش وهو ما احتج به الحريري في فاتحة مقاماته على جواز وضعه لها ، وإذا صح ان يقاس على ذلك اسناد مثل ذلك الكلام الى أناس معروفين من الملوك وغيرهم فيما لا ضرر فيه ولا افساد في التزيح ولا غيره من الحقائق - اذا جاز ما ذكر وصح القياس فلا يظهر جواز مثله في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، على أن في المسألة نصا خاصا لا محل للقياس مع مودده ، فقد قل صلى الله عليه وآله وسلم « ان كذبا علي ليس ككذب على أحد ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من حديث سميد بن زيد ، وروي عجزه - وهو من كذب علي الخ - متواترا ، وروي أحمد من حديث عمر مرفوعا « من كذب علي فهو في النار » وهو مطلق لم يقيد بالعمد واسناده صحيح . وقياس الكذب على غيره من اخوانه الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام حلي فهو أقرب من قياس الكذب على الرسل على الكذب على العجماوات الذي احتج به الحريري وأشار الى اتفاق العلماء على جوازه . والكذب عليهم يشمل ما يحكى عنهم من أقوال لم يقولوها ، وما يسند اليهم من أعمال لم يعملوها

فان قيل انه يمكن وضع قصة لبعض الرسل يلزم فيها الصدق في كل ما يحكى عنه أو يسند اليه ، قلنا ان النقل الذي يعتد به عند المسلمين هو نقل الكتاب والسنة ، ولا يوجد قصة من قصص الانبياء في القرآن يمكن فيها ذلك الا قصة يوسف وكذا قصة موسى وقصة سليمان مع ملكة سبا اذا جمل التطويل فيهن في غير الحكاية عنهن . والأولى هي التي يرغب فيها الممثلون . ويرجى ان يقبل على حضور تمثيلها الكثيرون ، وفيها من النظر الخاص ما يبناه في الوجه الثالث . وأما السنة فليس في اخبارها لمرفوعة ولا الموقوفة ما يبلغ ان يكون قصة تصلح للتمثيل الا وقائع السيرة المحمدية الشريفة ،



## ٣١٦ رحلة الحجاز . أيام منى ولياليها [ المار: ج ٧ م ٢٠ ]

والعلماء بها لا يكاد أحد منهم يقدم على جمع طائفة منها وجعلها قصة تمثيلية . وإذا فتح هذا الباب ووجد منهم من يدخله على سبيل الدور لا يلبث ان يسبقه اليه كثير من الجاهلين بالسنة المتقنين لوضع هذه القصص بالاسلوب الذي يرغب فيه الجمهور فيضعون من قصص الانبياء المشتعلة على الكذب ما يكون أروج عند طلاب الكسب بالتمثيل ، فيكون وضع الصحيح ذريعة الى هذه المفسدة

فعلم من هذه الوجوه ان جواز تمثيل قصة رسول من رسل الله عليهم السلام يتوقف على اجتناب جهيم ما ذكر من المفسد وذرائعها بحيث يرى من يعتد بمعرفتهم وعرفهم من المسلمين انه لا يعد اذراء بهم ، ولا منافيا لما يجب من تعظيم قدرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى من اهتدى بهم .

## رحلة الحجاز

٨

أيام منى ولياليها و قوال الشعراء فيها

نصوص الشرع في أيام منى

قال عز وجل (واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ، وآتوا الله وأعلموا أنكم اليه تحشرون ) أجمع العلماء على أن الايام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى التي تسمى أيام التشريق . قيل إن سبب تسميتها بذلك أنهم بشرقون فيها لحوم الاضاحي أي يقددونها ويبرزونها للشمس . وقيل لان الهدايا والضحايا لم تكن تنحر فيها الا بعد شروق الشمس ، وقيل هو مأخوذ من قول الجاهلية : أشرق ثبير ، كما نفير . أي ادخل يائبير في الشروق لكي تسرع في الدفع الى منى للنحر ، ذلك بأنهم كانوا لا يفيضون من المزدلفة الى منى الا بعد شروق الشمس ووقوعها على جبل ثبير أعظم تلك الجبال ، فأمرنا بمخالفتهم بالافاضة قبل الشروق . وقيل

[ المار : ج ٧ م ٢٠ ] أيام منى ولباليها وهي الممدودات ٣١٧

لأنها أيام تشريق أصلاة يوم النحر فصارت تبعاً له ، وأطلقوا التشريق على صلاة العيد وسما مصلى العيد مشرقاً . والجمهور على أن هذه الأيام هي الثلاثة التي تلي يوم عيد النحر وأدخله بعضهم فيها ، ولكن تخيير المتقي بين التعجل في يومين أو التأخر إنما هو في أيام منى الثلاثة التي بعد يوم العيد .

ووصفت أيام منى الثلاثة أو الأربعة بالمعلومات في قوله عز وجل في الحجاج ( ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام . فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ) وتطلق الأيام المعلومات على أيام عشر ذي الحجة الأوائل أو التسع التي آخرها يوم عرفة .

روى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي نبيشة الهذلي قال قال رسول الله ( ص ) « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وفي رواية ضعيفة عند غيرهم زيادة « وبهال » بعد شرب . والبهال والمبالة الملاعبة بين البعدين ( الزوجين ) ومنها ما صحيح فإنه يحل في أيام منى كل ما كان محرماً بالاحرام حتى التفشي ، وإنما يحل بعد طواف الإفاضة الذي تم به أركان التكسك كلها . والمراد بالاكل الاكل من لحوم الاضاحي المطلوب بقوله تعالى ( فكلوا منها ) وغيرها من الطيبات ، فإن هذه الأيام أيام عيد وسرور شرع فيها الجمع بين التمتع بالافات المباحة حتى يلهو بالحراب وسماع الفناء وبين ذكر الله تعالى وشكره على إنعامه بها وبالتوفيق لاقامة التكسك .

وشمار هذه الأيام من الذكر التكبير ويستحب رفع الصوت به والاشتراك فيه عقب الصلوات وفي عامة الاوقات والامكنة فقد روى سعيد بن منصور وأبو عبيد ان عمر (ص) كان يكبر في قبة بني فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الاسواق حتى ترجم منى تكبيرا » وذكره البخاري في الصحيح تعليقا . وأصح ما ورد في صيغته ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان قال « كبروا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر » وروي عن الصحابة والتابعين التكبير ثلاثا ومرتين وزيادة التهليل . والظاهر ان النبي (ص) لم يأمر الناس بصيغة مخصوصة في التكبير والذكر في العيدين وأيام منى كما انه لم يأمرهم بأذكار وأدعية معينة في الطواف والسعي والوقوف بعرفة

## ٣١٨ كلمة تاريخية أدبية في أيام منى [ المنار: ج ٧ م ٢٠ ]

يأتي كل فرد أو جماعة بما شاؤا ، فلا بأس إذا بما استحدث الناس من الذكر وصيغ التكبير مما لم يرد عن السلف وإن أشار بعض العلماء إلى استنكاره لذلك كأنه يراه من البدع باستحداث صفة لعبادة تعد من الشوائب ، وهو ما سماه بعضهم بالبدعة الإضافية . وإنما يتجه هذا إذا التزموا به جهرًا بغير زيادة ولا نقصان ، ويتأكد إنكاره إذا صار بحيث تظن العامة أنه واجب أو مندوب بهذا الوصف . وقد ذكر الإمام الشافعي في الام أن التكبير المشروع في العيدين هو كلمة « الله أكبر » وإن التثنية في بدئه مستحب وإن لكل أحد أن يزيد من الذكر ما شاء .

وكذلك التكبير والدعاء والتضرع عند رمي الجمار ، يرمي كل جمره بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة ويقف عند الأولى والوسطى فيطيل القيام يدعو ويتضرع ولا يطيل عند جمره العقبة . هكذا كان يفعل النبي ( ص ) وروى تقدير قيامه ( ص ) عند الجمرتين إلا بقدر سورة البقرة

وكانت ذبائح النبي ( ص ) في حجة الوداع مئة من الإبل جاء بثلاث وستين منها معه من المدينة وجاء علي كرم الله وجهه بالباقي من الإبل وقد نحر النبي ( ص ) ٦٣ يده الكريمة فكانت إشارة إلى سني حياته الشريفة وأمر عليا فنحر الباقي . وأمر ( ص ) بأخذ بضعة ( بفتح الباء قطعة ) من كل بدنة فجعلت في قدر فطبخت فأكل هو وعلي منها وشربا من مرقها

كلمة تاريخية أدبية في أيام منى

سمعنا من الشريف في منى كلمة جديرة بالحفظ والتدوين ، قال : كانت أيام منى أول الاسلام من أطيب أيام الحياة — أي لما تقدم بيانه من الجمع بين اللذات الروحية والبدنية والاجتماعية — فلما قربت المواصلات بين الاقطار الاسلامية البعيدة صار ينتقل الوباء إلى الحجاز مع الحجاج الموبئين فيكون أشد فتكه عند اجتماع الناس في منى ، فصارت أيام منى أيام غم وكدر يتعمر الناس فيها بالموتى في كل مكان ، وتعد الحكومة لها الألوف الكثيرة من الأكفان ، ونحمد الله أنه لم يمت فيها أحد في هذا العام ، لا بمرض وبائي ولا بمرض عادي اه بالمعنى

[الشار: ج ٧ م ٢٠] تغزل الشعراء في أيام منى ولبالها ٣١٩

أقول من الشواهد المؤيدة لهذه السكامة التاريخية ذنرة ذكر منى في أشعار المتقدمين الغرابة والتغزل بالنساء عند رمي الجمار فيها، وندرة مثل ذلك في غيرها من المشاعر، وعند غير رمي الجمار من الشعائر، ذلك بأن ما تقدم لنا شرحه من تأثير الاحرام ولباسه في القلب وتأثير رؤية المشاعر العظام والطواف بها والوقوف فيها أيضا - كل ذلك مما يصرف الحاج عن كل ما عداه، ولا يدع في قلبه فراغا واسما لغير ذكر الله، لا ذكر الحسان، ولا ذكر الأهل والولد والاخوان، فالتجلى الإلهي في جميع المشاعر، أثناء أداء جميع المناسك، تجلي هبة وجلال، إلا منى فإن التجلي فيها تجلي انس وجمال، ولا تنس ما ذكرناه آنفا من تحلل الحاج فيها من الاحرام، واستباحته ما كان محرما من الاعمال، وكونها أيام عباد يستحب فيها التمتع بالطيبات، وزد على ذلك أن لبالها هي اللبالي التي يكمل فيها نور القمر، وأن هواها اللطيف بحبيب اليك السمر،

رقا بها يابها الزاجر قد لاح سلع وبدا حاجر  
وخلها تسحب أرسائها على الربا لا راها ذاعر  
واذكر أحاديث لي منى لاهدم المذكور والذاكر

لهف نفسي لبال سلفت آه لو ترجع هاتيك اللبالي  
لاقل لي بمنى تعطى المتى بمنى كان من القوم انفصالي

صحبي مضوا فدمامي منهلة في اثر صحبي  
ما فوق المجران سم بما فاتني عن قصد قلبي  
كلا ولا نادى الجوى الا وكنت انا اللبي  
ولقد وقفت على منى لولا المتى لفضيت نجمي

وأشعار الشعراء بالتغزل بالنساء في منى ورميها الجمار كثيرة من أحسنها قول الشريف الرضي وهو من التغزل الخيالي التزييه

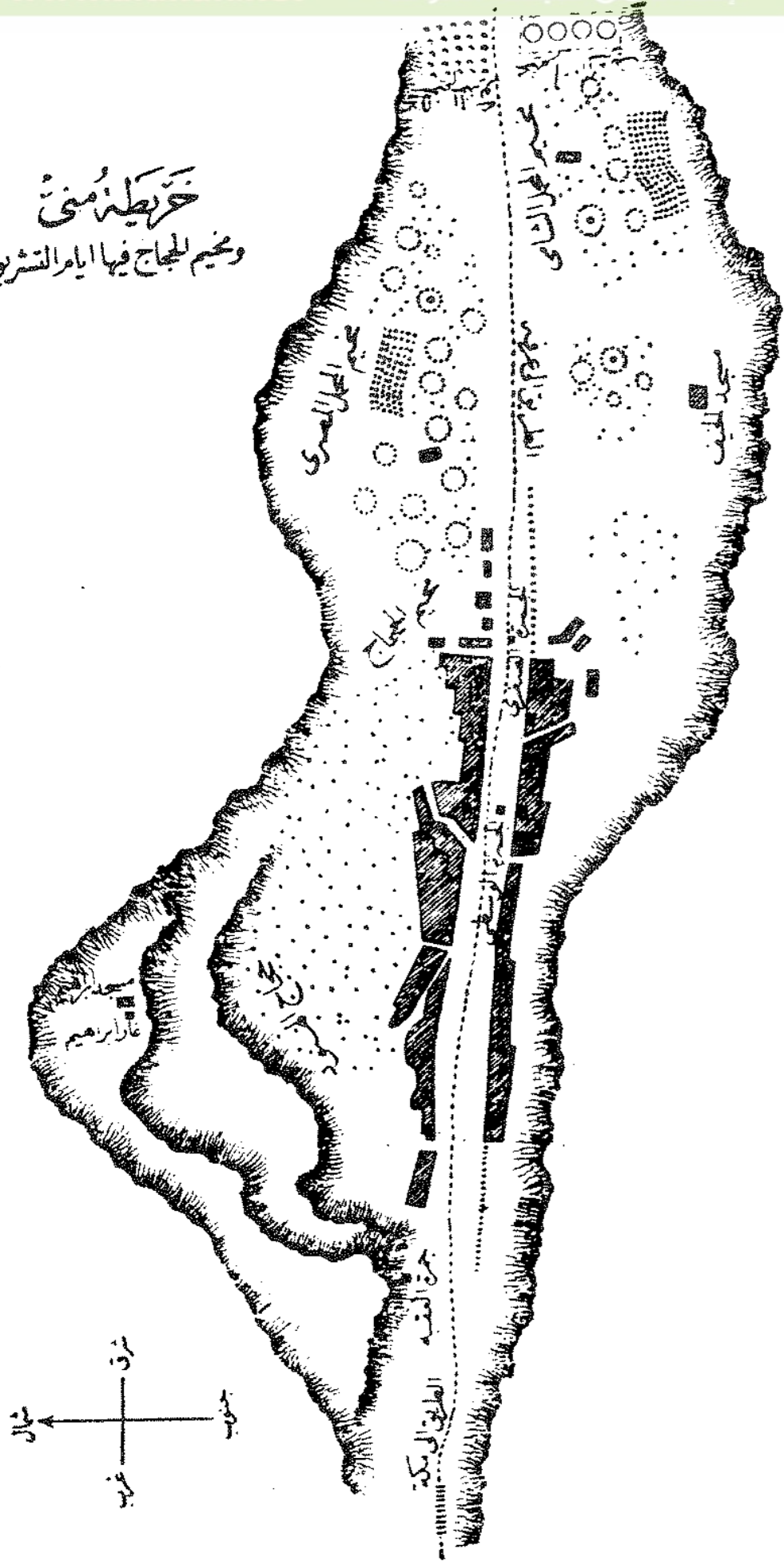


من مُعِيدَ ليَا ايا مي يجزع السمرات<sup>(١)</sup>  
 وليالي بجمع ورمي والجمرات<sup>(٢)</sup>  
 وظباء حاليات كظباء عاطلات<sup>(٣)</sup>  
 رائحات في جلاليه ب الدجا مخمرات<sup>(٤)</sup>  
 راميات بالعيون ال نجل قبل الحصيات  
 أَلَعَمَّرَ القلب راحوا أم لمقر البَدَنَاتِ<sup>(٥)</sup>  
 كيف أودعت فؤادي أعينا غير ثقات  
 أيها القانص ما أح سنت صيد الظليات  
 فَاكُ السُّرْبُ وما زُودت غير الحشرات  
 ياوقوفا ما وقفن في ظلال السلمات<sup>(٦)</sup>  
 موقفا يجمع فتيا ن الهوى والفتيات  
 تشاكي ما عنانا بكلام العبرات

(١) الجزع بكسر الجيم وسكون الزاي منعطف الوادي ومنحناه والسمرات جمع سمرة وهي شجرة السمر فتفتح السين وضم الميم وهي من شجر العضاة أي ذي الشوك وشوكها قصير وورقها صغير ولها برعم أي ثمر أصفر يؤكل (٢) جمع اسم المزدلفة وذكر في هذه الرحلة (٣) حاليات منزيات بالخلي وهن الظليات بالمجاز وعاطلات غير متحليات وهن الظليات بالحقيقة (٤) الدجا سواد الليل مع غيم يمنع رؤية القمر والنجوم . يعني يخرجن ليلا لرمي الحمار وغير الرمي من حاحن فيكون الدجا ساترا لهن كالحلاب حالة كونهن مخمرات تخمرهن مبالغة في الستر (٥) . ذكر ضمير راحوا وقلمنا يأتي في القصص إلا للسكنة كقوله في السلام على امرأة إبراهيم (ص) في سورة هود وإرادة إذهاب الرجس عن نساء النبي (ص) في سورة الأحزاب لشمول الخطاب للمخاليين في الخطابين ، ولعل الشاعر هنا يعني لمن يخرجن مع رجالهن (٦) السلمات جمع سلمة فتجدين وهو من شجر العضاة كالسمر ويكثر في جزيرة العرب ، والخطاب للرجال الذين تقفون في ظلال شجر السلم مدة وقوف أولئك النساء يتشاكون معهن الجوى بكلام العبرات أي الدموع الدال على ما في القلوب



خَرَبَ طَائِفَةُ مِنْ  
وَحْيِمِ الْمَجَاجِ فِيهَا أَيَّامُ التَّشْرِيقِ



هذه الصورة رسمت لرحلة البتاتوني

## [المنار: ج ٧ م ٢٠] قصيدة الشريف الرضي في أيام منى ٣٢١

نظرٌ يشعلُ منا كل عين بقدارة<sup>(١)</sup>  
 كم نأى بالنفر عنا من غزال ومهارة<sup>(٢)</sup>  
 آه من جيد إلى الدا ر كثير اللفتات<sup>(٣)</sup>  
 وغرامٍ غير ماض بلقاء غير آت  
 فسقى بطن منى والـ مخيف صوب الغاديات<sup>(٤)</sup>  
 وزمانا نائم المذ ال مأمون الوشاة  
 في ليل كاللثالي بالنواني مقمرات  
 غرست عندي غرس الـ شوق ممرور الجناة<sup>(٥)</sup>  
 أين راقٍ لغرامٍ وطيبٌ لشكائي<sup>(٦)</sup>

(١) يعني ان كل عين من أعين فتیان الهوى والفتيات تذرف العبرات في موقعها ذاك حتى كان فيها قذاة تستبط دموعها وهي مايقع في العين من عصفة بن وغيرها  
 (٢) المهارة البقرة الوحشية تشبه بها المرأة النجلاء لسمة عينيها وحسنهما ، وأشار بغزال ومهارة الى فتیان الهوى والفتيات الذين وصف موقعهن عند الوداع كما علم من ذكره النفر هنا وهو الدفع من منى (٣) المراد بالدار دار منى (٤) بطن منى وادبها والخيف سفح جبالها أي سقاها كلها ما يصبوب وينسكب من المطر في الغداة أي أول النهار . فالغاديات جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ أول النهار . أو المطرة فيه (٥) الجناة ما يجني من الثمر والظاهر انه أراد بالمرور المر - ضد الحلو - وفعل المرارة لازم لا مفدول له ، وانما المرور من غلبت عليه المرة وهي بالكسر ما يسمى الصفراء أو السوداء من اخلاط البدن . والشريف من أئمة اللغة فلا بد ان يكون لاستعماله مخرج اذا صححت الرواية عنه وان لم يكن استعماله حجة في اللغة (٦) الشكاة بالفتح ما يشكى من مرضى عرض أو ألم ألم . سأل ما عز فلا يوجد وهو الراق لغرامه والطبيب لسقامه ، وانما احتاج الغرام للراق دون الطبيب لأنه وجد نفسي روحي محتاج الى المسكنات الروحية وان وهمة . والاستفهام استفهام توجع وياس

## ٣٢٢ التنزل في معاهد الحجاز وأعمال النسك [المنار: ج ٧ م ٢٠]

ومن التنزل الخبالي في منى وغيرها من معاهد النسك وأعماله ما قلله أبو محمد عبدالله بن محمد التنوخي في قصيدته التي مدح بها ثقة الدولة يوسف بن محمد بن الحسين القاضي صاحب صقلية الروم وهو:

ولما التقينا محرمين وسيرنا      بلبيك ربنا والركائبُ تعسف<sup>(١)</sup>  
نظرتُ إليها والمطيُّ كأنما      غواربها منها معاطسُ رعف<sup>(٢)</sup>  
فقلتُ أما منكن من يعرف المتى      فقد راينني من طول ما يتشوف<sup>(٣)</sup>  
أراه إذا سرنا يسير حذاءنا      ونوقف أخفاف المطي فيوقف<sup>(٤)</sup>  
فقلت ليربها أبلغها بأني      بها مستهام قلنا نتادف<sup>(٥)</sup>  
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا      مني والمنى في خيفه ليس يخف<sup>(٦)</sup>  
تقاءك في أن تبذلي طارف الوفا      بأن عن لي منك البنان المطرف<sup>(٧)</sup>  
وفي عرفات ما يخبر أني      بعارفة من عطف قلبك أسعف<sup>(٧)</sup>

(١) قوله وسيرنا بلبيك ربنا . معناه ان سيرهم ملابس ومصحوب بالتلبية المعروفة . وعسف الركائب خبطها في السير على غير هدى لعله لشدة الزحام أو في السرى ، يقال يات فلان يعسف الليل اذا خبطه في ابتغاء طلبته (٢) الغوارب جمع غارب وهو الكال أو ما بين السنام والعنق ، والمعاطس الأنوف والرعف الرواعف أي التي يسيل منها الدم ، والمراد ان الغوارب جرحت من طول السير والاقتاب عليها حتى كان منها أنوف راعفة (٣) رابه أوقعه في الريبة وهي الشك والتهمة ، والتشوف الى الشيء التطلع اليه ، أي ان تطلعه بإدماحه النظر اليها حملني اتهمه بأنه يعتمد ذلك لأمر ما في نفسه ثم سمرت ذلك تشوف لصراحها بسيره حذاءهم إذ سرن ووقوفه اذا وقفن (٤) الترب بكسر التاء وسكون الراء اللدة وهي بالكسر من ولد معك فترباها رفيقتان لها من سنها والمستهام من جعله الحب كالهائم في الفلوات لا يهتدي سبيلا الى النجاة (٥) شرع يستميلها بالتفاؤل بفيل مودتها مستنبطاً له من أسماء الامكنة وغيرها على طريق الميافة التي ستذكر في الآيات ، وبدأ بذكر منى فجعلها فالاً بفيل المنى وهو جمع منية (بوزن غرف وغرفة) ومعناه ما يتمنى وقد تقدم ان خيف منى سفح جبلها (٦) طارف الوفاء حديثه وجديده والبنان الاصابع وقد يخص بالعقد العليا منها واحدها بنانة والمطرف المحضوب بالحاء (٧) العارفة المعروف في المعاملة المراد من حديث « من أسدى اليكم معروفا فكأنثوه » والاسعاف بالحاجة قضاؤها



[الجمادى الأولى ج ٧ م ٢٠] التغزل في معاهد الحجاز وأعمال النسل ٢٢٢

وأما دماء الهدى فهي هدى لنا  
وتقيل ركن البيت إميل دولة  
فأوصلنا ما قلته فتبسمت  
بعيشي ألم أخبر كما أنه فتي  
فلا تأمنا ما سطعنا كيد نسقه  
إذا كنت ترجو في منى القوز بالمى  
وقد أندر الإحرام أن وصالنا  
وهذا وقذي بالحصى لك مخبر  
وحاذر نفاري ليلة النفر انه  
يدوم ورأي في الهوى يتألف<sup>(١)</sup>  
لنا وزمان بالمودة يعطف  
وقالت أحاديث العيافة زخرف<sup>(٢)</sup>  
على افظه برز الكلام المفوف<sup>(٣)</sup>  
وقر لا ستري أينما اليوم أعيف<sup>(٤)</sup>  
ففي الخيف من إعراضنا نتخوف  
حرام وأنا عن مزارك نصدف<sup>(٥)</sup>  
بأن النوى بي عن ديارك تذف<sup>(٦)</sup>  
سريع ، فقل من بالعيافة أعرف<sup>(٧)</sup>

(١) الهدى بالفتح ما يهدي إلى الحرم من الأنعام وهي ذبائح النسل والهدى بضم ففتح الدلالة على المطلوب بلطف والايصال إليه كذلك وهو ضد الضلال والمراد ان كلمة الهدى بالفتح قل دال على تواصل دائم لنا (٢) العيافة التناول أو التشاؤم بحركات الطير ومساقطها وأسمائها . هذا هو الاصل ثم توسعوا فيه بمتل ما ترى في هذه الايات والزخرف الزينة والتزيق تمنى انها من زخرف الكلام لا من الحقائق كقوله تعالى ( يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ) وفي حديث قبيصة عند أبي داود « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » أي من الخرافات كالكهانة والسحر والحديث صحيح السند (٣) البرد الثوب المخطئ والمفوف الرقيق ، وتعني به لطافة كلامه وحسنه وكونه ينم عما وراءه (٤) أعيف اسم تفضيل من العيافة . يقال عاف الطير يعيفها اذا زجرها وتطير بها وهو ما تقدم آنفا (٥) نصدف نعرض (٦) أي وقذي بالحصى في رمي الجمار مخبر لك بأن النوى أي البعد أو وجهة السفر (وهي مؤنثة) ترمي بي في مكان بعيد عن ديارك (٧) النثار والنفور مصدر نفر (من باب نصر وضرب) وهو الشرود بسبب مزعج ومنه نفار الظي والداية والنفر للقتال . والنفر التفرق . ويوم النفر وليلة النفر هو يوم ينفر الحاج من منى ودو ثاني أيام التشريق لمن تعجل ويسمى النفر الاول وثالثها لمن تأخر ويسمى النفر الثاني

٣٢٤ الشمر في أيام منى وشؤون الحج [المنار: ج ٧ م ٢٠]

فلم أر مثلينا خليلي مودة لكل لسان ذو غرارين مرهف<sup>(١)</sup>  
وما قيل في أيام منى وليلها مارواه صاحب الأغاني عن معبد المعنى الذي يضرب به  
المثل قال أتيت أبا السائب المخزومي - وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة -  
فلما رأيته تجاوز أي خفف الصلاة وقال مامك من مبكبات ابن سريج؟ قلت له:

ولهن باليت العتيق لبانة واليت يعرفن لو يتكلم  
لو كان حيا قبلهن ظمأنا حيا الحطيم وجوهن وزمزم  
لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطة وهو على صفر لعمرك ماهو  
متجاورين لعمر دار إقامة لو قد أجد تفرق لم يندموا

فقال لي غنه ففتيته ثم قام يصلي فأطال ثم تجاوز إلي فقال مامك من مطرباته  
ومشجياته؟ فقلت قوله

لسنا نبالي حين ندرك حاجة مابات أو ظل العلي مقلا  
فقال لي غنه ففتيته ثم صلى ونجوز إلي وقال مامك من مرقصاته؟ فقلت  
فلم أر كلاجمبر منظر ناظر ولا كلبالي الحج أقن ذاهوي<sup>(٢)</sup>  
فقال كما أنت حتى انمر لهذا بركتين

وأما التغزل في نساء معروفات في وقائع ومشاهد كانت هنالك فكثيرة، لزبر  
النساء الشهير عمر بن أبي ربيعة الشاعر القرشي كثير - منها قوله في أيام منى  
ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفا وموقفي وكلانا ثم ذو شجن  
وقولها لأمر يا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو صحن<sup>(٣)</sup>

(١) أي لكل من لسان ذو حدين مرهف من أرهف السيف إذا رقق حده،  
وبعني بخراري اللسان قدرته على جعل الكلام الواحد على وجهين متقابلين متضادين  
كجعل أعمال النكس ومواضعه للتناول وللتشاؤم فهو كالسيف ذي الحدين  
(٢) الشمر لعمر بن أبي ربيعة وأنا لابن جرج الصوت والتجوير رمي الجار  
وأقن بالهمزة كفتن من الفتنة وهو لغة نجد وفي نسخة ديوان عمر المطبوعة أفلتن  
(٣) السن بالفتح الطرق وهي مجاري الدمع

[المنار: ج ٧ م ٢٠] مفاصلة عمر بن أبي ربيعة للنساء في المشاعر ، ٢٢٥

بالله قولي له في غير ممتهبة ماذا أردت بطول المكث في اليمن  
ان كنت تطلب دينا أو رضيت بها فما أخذت بترك الحج من عن  
قل ان سرج المفني ما ظننت ان الله عز وجل ينفع أحدا بشعر عمر ابن أبي  
ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشدا ينشد قوله : بالله قولي له - اليتيم - فحركني  
ذلك على الرجوع الى مكة فخرجت مع الحجاج وحججت  
وقد كان عمر مفتونا بالنساء وحديثهن ولم تكن هية بيت الله وسائر المشاعر الشريفة  
لتصرفه عن مفاصلهن حتى في أثناء أداء المناسك لانه وهو مكى قد ألفها واعتادها  
والأفاقيون أشد هية وخشوعا هنالك من الحرمين في القلب . ومما روي عنه في  
كتاب الاغانى أنه لما كان يطوف رأى امرأة من أجل النساء فوقف في قلبه فدنا منها  
فكلمها فلم تلتفت اليه ، فعادها في الليلة الثانية قالت اليك عني يا هذا فانك في حرم الله  
وفي أيام عظمة الحرمه فألح عليها بكلمها حتى خافت ان بشورها . فلما كان في الليلة الثالثة  
جاءت بأخيها معها الى الطواف فلما رأى عمر أخاها معها عدل عنها فمات بقول جرير  
تعدوا الذئاب على من لا كلاب له ونقي صولة المستأسد الضاري  
وروي ان المنصور حدث بهذا الخبر فقال : وددت انه لم تبق فتاة في خدرها  
الا سمعت بهذا الحديث . أقول وهو شاهد على حكمة الشرع في حظر السفر على  
المرأة الا مع ذي محرم . هذا وان شعر عمر يوم انه كان من أفق الفسق ولكن  
روى صاحب الاغانى عنه انه حلف في مرض موته بالله انه ماركب فاحشة قط ولا  
كشفت ثوبا عن حرام قط ، وحلف مرة بعتق كل مملوك له على ذلك وكان له في  
الحوك وحده سيمون عبدا .

ومما روي عن غير عمر في هذا الباب تشيب النخري بزيب الثقفية . ذلك  
أن يوصف بن الحكم الثقفي والد الحجاج المشهور كان قد اعتل في بلده ( الطائف )  
فبذرت بنته زيب لتحجن ماشية ان عوفي ، فعوفي فخرجت في نسوة تقطعن بطن  
رج ( أي بطن وادي وج ) وهو ثلاث مئة ذراع في يوم جملة مرحلة لثقل بدنها  
ولم تقطع ما بين مكة والطائف الا في شهر ، وكان محمد بن عبدالله النخري الطائفي  
يهواها فقال في حجبها أياتا منها :

## ٣٢٦ تغزل النيمري في زينب الثقفية [المأثر: ج ٧ م ٢٠]

تضوع مسكا بطن نيمان إذ مشت به زينب في نسوة عطرات (١)  
تهادين ما بين المحصب من منى وأقبلن لاشمسا ولا غبرات (٢)  
أعان الذي فوق السموات عرشه مواشي بالبطحاء مؤنجرات (٣)  
مررن بوج ثم رحن عشية يلين للرحمن معتمرات  
يخبث أطراف البنان من التقى ويقتلن بالالحاظ مقتدرات (٤)  
ولست كأخرى أوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكف للجبرات  
وعلت بنان المسك وحفا مرجلا على مثل بدر لاح في الظلمات (٥)  
وقامت تراءى يوم جمع قافنت برؤيتها من راح من عرفات  
وقد أراد الحجاج أن يفتك بالنيمري لتشيبه بأخيه لولا أن منعه منه عبد الملك  
وكتب إليه أن لا سبيل له عليه على أنه ما وصفها هي وصواحبها إلا بالتقى

وعلى ذكر أبيات النيمري فيمن توسع جيب درعها وترفع يدها عند رمي الجمار  
لبرحى ساعدها ، وتراءى يوم جمع أي عند انصراف الناس منها صباحا إلى منى  
لتفتن من أفاض إليها من عرفات — على ذكرها تقول لا عجب إذا وجد في النساء  
المفتونات بمجالهن من تحب أن تظهر جمالها في تلك المعاهد الشريفة كما وجد في  
الرجال مثل عمر بن أبي ربيعة الذي يخرج إلى الحج ليغازل النساء ، ولكن هذا نادر  
وأكثر الشعر فيه تخيل ، ومنه قول المرجمي الشاعر من أبيات كانوا يتغنون بها :

أماطت كساء الخبز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برد أمهلا (٦)

من اللاء لم يحججن يبين حسبة ولكن ليقطن البري المغفلا (٧)

روى أبو الفرج عن عبد الله بن عمر العمري قال : خرجت حاجا فرأيت امرأة جهيلة

(١) تضوع فانت رائحة وبطن نيمان أي وادي نيمان وهو بين الطائف ومكة ويروى  
جرف القافية خفرت والخفر شدة الجلاء (٢) المحصب موضع بين مكة ومنى (٣) مؤنجرات  
طالبات الإجر (٤) ويروى يخمرن بدل يخبث والمصراع الثاني \* ويخرجن جمع الليل معتمرات  
أي متوافقات بالمعاجر على رؤوسهن (٥) البنان بكسر الباء جمع منه بالفتح وهي الرائحة الطيبة والعل  
متابعة الشيء وأصله متاعه السقي . والوحف الشعر الكثير الحسن والمرحل من الترحيل وهو تسريح  
الشعر بالمرجل أي المشط . أي وعلتروائح المسك منها شمرا اثينا حسنا مرحلا فوجه يلوح  
بينه كالبدن في الظلمات (٦) البرد القصر توب مخطط والمهلل الرقيق النسيج والواهي أي برد  
لا يستر الوجه لرقته ولعله من اللهل بالتجريك ، وهو نسيج المنكوب (٧) الحسبة بالضم والاحتساب  
في الصل اعتداده ذخرا عند الله . والمفضل من لافظة له فيتقي فتنة النساء



[ المتار: ج ٧ م ٢٠ ] عباد الحجاز والمراق . حج أبي نواس ٣٢٧

تتكلم بكلام رفعت فيه فأدريت ناقتي منها ثم قلت لها يا أمة الله ألسنت حاجة؟ أما تخافين الله؟ فسفرت عن وجهه يهر الشمس حسنا ثم قالت: تأمل يا عمي فإني ممن غنى العرجي بقوله من اللاء لم يحججن يبين حسبة ولكن ليقتلن البريء المنفلا  
قال فقلت لها: فإني أسأل الله أن لا يذب هذا الوجه بالنار. قال وبلغ ذلك سميد ابن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: اعزبي قبحك الله، ولكنه ظرف عباد الحجاز (قال أبو الفرج) ورويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار - وذكر حكاية أخرى في معناها فيها أن أبا حازم قال لأصحابه: أدعوا الله لهذه الصورة الحسنة أن لا يذبها بالنار. وأبو حازم من كبار عباد التابعين. وكان عباد العراق ولا سيما أهل البصرة منهم مشهورين بالشدة في العبادة والزهد ومنهم خرج أكابر الصوفية

وإنا نختم هذا السياق بخبر أبي نواس فاسق الشعراء فقد روي أنه كان بهوى جارية لأحد الثقفين بالبصرة اسمها جنان وكانت حسنة أدبية عاقلة ظريفة تروي الأشعار وتعرف الأخبار فقبل له يوما أنها عزمته على الحج فقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا إن أقامت على عزيمتها، ثم سبقها إلى الخروج وقال بعد هودته:

ألم تر أنني أفيت عمري بمطلبها ومطلبها صبر  
فلما لم أجد سببا إليها يقربني وأعينني الأمور  
حججت وقلت قد حججت جنان فيجمعني وإياها المسير

وروي صاحب الأغاني من خبر حجه عن شمه وقد أرم أنه لما جنة الليل  
جل يلي بشر ويحدوه ويطرب فغنى به كل من سمعه وهو قوله

إلهنا ما أهداك      ملك كل من ملك  
ليك قد لبت لك      ليك إن الحمد لك  
والملك لا شريك لك      والليل لما أن حلك  
والساجات في الفلك      على مجاري المنسلك  
ما خاب عبد أملك      أنت له حيث ملك  
لولاك يارب هلك      كل نبي وملك  
وكل من أهل لك      سجع أو لبى فلك

## ٣٢٨ العبرة في المفاصلة والتفرل في الشاعر [المنار: ج ٧ م ٢٠]

يا مخطئاً ما أضفلك هجلاً وبادر أجلك  
واختم بخبر عملك ليك إن الملك لك  
والحمد والنعمة لك والعز لا شريك لك

والعبرة في هذه الوقائع والأشعار من وجوه (منها) أنه يدل على أنه لا يمكن أن يجتمع النساء ولرجال الكثر في مكان ينظر بعضهم إلى بعض إلا ويكون المفاصلة النساء بالكلام أو بالنظر نصيب فيه كما قال عمر بن أبي ربيعة في أبيات مقصورة

ومن مالى عينية من شيء غيره إذا راح نحو الجرة البيض كلدني  
وإذا كانت معاهد الحج لم تخل من المفاصلة والتفرل في أول عصر الحضارة الإسلامية وأول العهد بتعجب النساء والدين لم يزل في قوة ساطعته على الأرواح حتى أن أشد المترفين اسرافاً في المفاصلة والمفاصلة النساء لم يرتكب في عمره فاحشة فما ظلك في غير هؤلاء وأمثالهم وفي أهل هذا زمان في غير تلك المعاهد؟ قال لي بعض القيسيين قد مات الدين ولا يقصد الناس المعبد إلا للمفاصلة النساء

(ومنها) أن أقوال الشعراء في معاهد الحج وأيامه وأعماله مما بشوق القلوب إلى تلك البلاد كما وقع لابن مريح في لبن ولاجله كتبت هذا الفصل من الرحلة وانني وجدت نفسي في أيام كتابتي لهذا الشعر فيه شديدة الشوق إلى الحجاز ومشاءه وليالي عرفة والمزدلفة ومنى، على اني است من المفاصلة والتفرل في شيء، ولم أر هناك ولم أسمع عن أحد شيئاً من ذلك وفيه الحمد

ولكنني أذكر في الكلام على هذه العبرة كلمتين لناضلين مصريين كانا معاً في الحجاز (أحدهما) قول أتقى الرجلين وأحسنهما تدينا وهو محصن أنه رأى في بيتي امرأة في نفقة دار مقابلة للدار التي كان فيها تحمل منظاراً تنظر فيه فتوهم أنها تنظر إليه فشمط قلبه بذلك مدة وجوده في منى (والثانية) قول الآخر وهو أعزب: انني لم أر في الحجاز امرأة وسيمة يشتهي المرء أن يعبد إليها طرفه فهل هؤلاء هن نساء العرب اللواتي شربهن الشعراء ذلك التشبيب الفاتن الذي ينجذب لبقائه المهن أجمل نساء الأرض؟ وبألبت شمري كيف كان يكون غزلهم وتشبيهم لو كان في نساءهم من الجلال ما نعهد في الآستانة وفبرها؟